يجري يا زوربا ؟ انني انام ـ اذن نم جيدا · ماذا تفعل في هذه اللحظة يا زوربا ؟ ـ انني اعانق امرأة اذن عانقها جيدا ، يا زوربا ، وانس كل الباقي ، فليس في العالم شيء آخر ، ليس فيه الا هي وانت · هيا ! » (٣١) ·

المرسنلي يعيش عمق هذه الاتحادية بالحياة ، لكنه يفترق معه بالنتائج ، بل يمكننا القول بأن المرسنلي يوازي زوربا قبل دخوله الغابة ، لكنه بتجربته ومعاناته يكتشف انتماءه ، لكن زوربا يكتشف ان الحياة لحظة يجب ان تعيشها مستغرقا بآنيتها الراهنة ، المرسنلي وافق زوربا في البداية ، ثم ما لبث ان تجاوزه على طريق اكتشاف ذاته والعالم·

فالمرأة لم تعد جسدا يلبي حاجة الارتواء الجنسي ، بل اصبحت انسانة ـ في نظر ـ المرسنلي ـ تلبي حاجة ارتواء انساني · ان زوربا يحول ما لا بد منه الى ارادة حرة · على حين يطلق ـ حنا ـ فعاليات المرسنلي ـ ليواجه الضرورة بارادته الحرة ·

النقلة من النهمية البوهيمية الى الفعل الارادي الواعي يتجسد بأعلى اشكال تكثيفه بعودته الى المدينة للدفاع عنها ، بالعودة الى الانتماء للاخر ، الناس ، الوطن ، هاتان المقولتان اللتان كان يرفضهما ـ زوربا ـ ويدينهما ، بأنسنة (كوسموبوليتية) تدفع بالعالم للانتماء اليها ، لا بانتمائها للعالم ·

الشاب في (الشمس في يوم غائم) يطلق ـ حنا ـ كوامنه الحياتية ، كردة صارخة على واقع الرتابة والقوانين المصاغة خارج الحقيقة الانسانية · من اجل نفي كل ما هو كائن استلابي · ويرقص كـ ـ زوربا ـ ليخرج ما يضج في اعماقه وما لا يستطيع التعبير عنه ·

الا أن هذا الاطلاق لا يفضي الى العدمية ، بل هو رغبة جارفة للانتماء بالقوى الفاعلة ، تسقط في مطب الخضوع للانتماء الاول الذي يحكمه كضرورة · فالتضاد ينشأ بين انتمائين ، انتماء للثبات والسكون ، وانتماء للصيرورة الحياتية · وعندما يضيع بين الانتمائين ، ويسقط في فراغ الاهتزاز والتأرجح · نخلص الى نتيجة مفادها :الادانة لهذه الشريحة التي لا تتمكن بموضوعية بنيتها الطبقية ان تندغم بعضوية في حركة التاريخ المتصاعدة ·

فأزمة لا انتماء الشاب تقودنا الى ادانته ، وحقيقة لا انتماء ـ زوربا ـ وعدميته ، تعرض على انها الطريق الوحيد للخلاص، انه يستدعي للرثاء، لكن ليس هناك غيره (٣٢)· نخلص من عرض هذا التباين الموجز الى أن (الياطر) ليست رواية زورباوية ، وشخوص حنا تشارك ـ زوربا في حميمية اندماجه ، مستحمة معه بألق الحياة ، ممارسة دهشتها تجاه كون رائع ، غير انها تتعارض معه جذريا في الرؤية والموقف · بعد هذه الجولة في عالم حنا مينة ـ العامر ، ومرافقته في رحلة الكشف والاكتشاف ، نخلص الى ان ـ حنا ـ يثبت جدارته كفنان وكروائي فذ ، قادر لا على اخصاب الرواية العربية فحسب، بل يرتفع بها الى ان تحتل مكانتها على مستوى عالمي بجدارة ·

المراجع

١ ـ الادب والثورة ـ تروتسكي · ترجمة جورج طرابيشي ـ دار الطليعة ، ص ٥٥ ·

٢ ـ محمود امين العالم « معارك فكرية » ـ دار الهلال ، ص ٢٠٥ ·